فقال له النبى صلّى الله عليه وسلم : نشدتك الله ! هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك؟ فقال اللّهم نعم. وفى الحديث: من قال إنى مؤمن فهو كافر، ومن قال إنى عالم فهو جاهل، ومن قال إنى فى الجنة فهو فى النار... وعلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصدّيق رضى اللهّ تعالى دعاءً قال، قل فيه: اللّهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم... واستغفرك لما لا أعلم. وجاء فى الخبر الشرك فى أمّتى أخفىَ من دبيب النمل على الصفا... وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم :إنى أستغفرك لما علمت ومالم أعلم. فقيل له أتخاف يا رسول الله؟ قال ومايؤمننى والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء ... وقال الله تعالى **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** ، قيل عملوا أعمالاً ظنوا أنها حسنات، فلما كان عند الحساب والميزان وجدوها سيآت. **وقيل كانت هذه الآية مبكاة العابدين.** وقيل فى معنى قوله تعالى **وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً**، قيل صدقا لمن مات على الإيمان، عدلاً لمن مات على الشرك، كقوله تعالى **إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية** ، وقال سبحانه **ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون** ، وقال **ينالهم نصيبهم من الكتاب وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص**، وقال **ولله عاقبة الأمور**، وقال **لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله**، فالاستثناء فى الإيمان هو من الإيمان، والاستثناء فى كل شىء من علامة الأولياء، والإشفاق من الشرك والنفاق هو من مزيد الإيمان، لئلا يسكن العبد إلى شىء، ولا يُزكّى نفسه بشىء. وقال سَرّى السقطى لو أن رجلا دخل إلى بستان فيه من جميع الأشجار، عليها من جميع الأطيار، فخاطبه كل طير منها بلغة، فقال السلام عليك ياولىّ الله، فسكنت نفسه إلى ذلك، كان أسيراً فى أيديها.

الفصل الخامس والثلاثون

فى فضائل أهل السنة والطريقة وطرق السلف من الائمة

السنّة اسم من أسماء الطريق، وهو اسم للطريق الأقوم. يقال طريق وطريقة، وسُنن وسنّة، وحجة ومحجة، فمن فضائل السنّة وطريق أهلها التقلل من الدنيا فى كل شىء، والقناعة من الله تعالى بأدنى شىء، والتواضع لله بكل شىء. وفى الخبر فضل العبادة التواضع. وروينا عن رسول الله صلّى عليه وسلم: أربع لا يوجدن إلا بعجب: التواضع وهو أوّل العبادة، والصمت، وذكر الله تعالى، وقلة الشىء... واعلم أن **التواضع** يظهر بمعان خمسة:

obeikandi.com

بالقول، والفعل، والزيّ، والأثاث، والمنزل. يكون في المؤمن بعضها، فمن كملت فيه فهو متواضع. **والكِبْر** ضد التواضع، وهو يظهر أيضا بأضداد هذه الخمسة، يبتلى المؤمن ببعضها ويعافى من البعض، فمن كملت فيه فهو متكبّر، وحقيقتها في القلب، وظاهرها بالأفعال والأقوال.

ثم الورع عن الشبهات والمشكلات من العلوم والأعمال، أنْ يُقدِم عليها بنطق أو عمل، ولا يعتقد نفيها ولا إثباتها خشية أن يكون معتقداً الباطل أو نافياً لحق، بل يكون اعتقاده فيها تسليماً لله عز وجل، ويقول آمنت بحقائقها عند الله تعالى، فذلك تعُّبد من الله عز وجل للمؤمنين فيما تشابه من الأمور، أن يسكتوا أو يسلّموا، وبذلك وصفَ الراسخين في العلم، وأقسم بنفسه على نفي إيمان مَنْ لم يُسلّم تسليما، وجعل **التسليم** مزيد الإيمان في قوله تعالى **ومازادهم إلا إيمانا وتسليما**. وفي الخبر: إنما الأمور ثلاثة: أمرٌ استبان رشده فاتّبِعْهُ، وأمرٌ استبان غيّه فاجتنبه، وأمرٌ أشكل عليه فكِلْه إلى عالِمه. وكذلك **ابن مسعود** يقول: إن لهذا القرآن مناراً كمنار الطريق، فماعرفتم منه فاعملوا به، ومالم تعلموه فكِلُوه إلى عالِمه. وكان أيضا يقول: أنتم اليوم في زمان خَيرُكُم فيه المسارع، وسيأتي عليكم زمان يكون خيرُكم فيه المتبيّن، يعني لوضوح الحق في القرن الأوّل، ولدخول الشُبهات في زماننا هذا فصار الحق غامضا، فكان خيرُ الناس اليوم المتثّبت بالورع، كما أخبر أن خيرهم يومئذ المسارع بالفضل. ومما يدلُّك أن الإيمان هو التسليم، كما أن الإيمان هو التصديق أنّ في قراءة بعض التابعين، منهم **جعفر بن محمد**، وقد رويناه عن **أبي جعفر محمد بن علي**، أنهما قرآ **واجعلنا مسلمين لك**، وقرآ أيضا **الذين آمنوا بآيتنا وكانوا مسلمين**، فلولا أنهما بمعنى واحد لم يجُز أنْ يخالفوا المعنى في المقروء. وكذلك قال **رسول الله صلّى عليه وسلم** في الأمر المتشابه ، الذي يشبه الحق من جهة، ويشبه الباطل من جهة" لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ولكن قولوا آمنا بالله وماأُنزِل إلينا وما أنزِل إليكم". هذا لأن الله سبحانه وتعالى أنزل التوراة فهي حق، ثم أخبر أنهم قد حرّفوا فاحتمل أن يكون مايخبرون به المؤمنين مما أنزل الله تعالى فلا يحل التكذيب به، ولا اعتقادُ نفيه، واحتمل ما يخبرون به المؤمنين أنهم حرّفوا، فلا يحل قبوله، ولا اعتقاد ثبوته، فأمرهم النبي صلّى عليه وسلم بإيقاف ذلك، والإيمان بما أنزل الله تعالى جملة، فإن كان ماأخبروهم حقاً دخل فيه، وإن كان باطلا لم يضرهم، فالمسلّم هو الذي يسلّم مالم يظهر دليله في العقل، لأجل القدرة والسُنّة والنقل،

كما أن المؤمن هو الذى يصدق بما لم يظهر بمشاهدة العين الإيمان بالغيب ، لأن العقل بصره القلب ، كالعين بصر الجسم ، وقد قال النبى صلى عليه وسلم : رفع القلم عن المجنون حتى يعقل كما قال الله تعالى ليس على الأعمى حرج ، ثم ترك مالا يعنى مما قد كُفِىَ ومما لم يكِل إليه من القول والفعل ، لأن الدخول فيما لا يعنى هو التكلف المنهى عنه ، الذى أخبر رسول الله صلىّ إلله عليه وسلم أن الأتقياء من أمته براء منه ، وهو يشغل ويقطع عما يعنى ، وفيما يعنى شغل عما لا يعنى لكل فَطِن عاقل ، وهو أصل الحكمة فيما أخبر به لقمان لما سُئل أنى أوتى الحكمة ، قال بشيئين لا أتكلف ما كُفيت ، ولا أضيع ما كلفت فهذا شئ لا يضر جهله ولا ينفع فعله ، ولأنه شئ كتب عليه لم يكن له فيه فضل وإن سُمع منه وظهر به ، ولم يكن له فيه مزيد ، ولا لغيره نفع

ثم كف الأذى فإن ذلك من الورع وكان سهل رحمه الله تعالى يقول : كفُّ الأذى كسب العقل ، واحتمال الأذي كسْب العلم ، والنصيحة للخلْق والرحمة لهم كسب الإيمان .. ومن العمل فى قطع ما قد اعتاد من عاجل حظوظ النفس مما يقطعه عن العمل لأجل الآخرة ، وإعمال النفس وإجهادها، وأن لا يكون لها معتاد من شهوة تعود على النفس منه منازعة ، فإن العادة جند غالب ، لأجلها تعذرت التوبة ، ولغلبتها رجع العبد عن الاستقامة ، وهى باب من أبواب الهوى ، إلا فيما أمُر به العبد أو نُدب إليه قال أبو سليمان الدارانى إن قَدِرتْ أنْ لا يكون لك وقت معتاد فى الأكل تنازعك نفسك إليه فافعل وقال لأنْ أترك لقمة من عشائى أحبُّ إلى من قيام ليلة ، أى لنقص النفس من المعتاد ، والتقلل أيضاً وقال أيضاً ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها . هذا كله خشية إيلاف العادات ، فتنازع النفس إلى الإلف ، فلا يمكن ضبطها لغلبة الوصف . ثم حُسن الصبر على ما أُمر به ، وحُسن الصبر عما نُهى عنه ، فإن ذلك من أفضل الأعمال ، وله فضائل المزيد والكمال وفى حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقِ المحارم تكن من أعبد الناس ، وفى لفظ آخر تكن من أورع الناس ومن أحسن ما سمعته من عظيم المثوبة فى الصبر عن المعصية . كما حدثونا فى الإسرائيليات ، أنّ رجلاً تزوّج امرأة من بلدة وكان بينهما مسيرة شهر ، فأرسل إلي غلام له من تلك البلدة ليحملها إليه، فسار بها يوماً ، فلما جنّه الليل أتاه الشيطان فقال له : إن بينك وبين زوجها مسيرة شهر ، فلو تمتعت بها ليالى هذا الشهر إلى أن تصل إلى زوجها فإنها لا تكره ذلك ، وتثنى عليك عند سيدك فتكون أحظى لك عنده ، فقام الغلام يصلى فقال : يارب إنّ

عدوك هذا جاءنى فسوّل لى معصيتك وإنه لا طاقة لى به فى مدة شهر ، وأنا أستعيذك عليه يارب ، فأعذنى عليه ، واكفنى مؤنته . فلم تزل نفسه تراوده ليلته أجمع وهو يجاهدها حتى أسحر ، فشد على دابة المرأة وحملها وسار بها ، قال : فرحمه الله تعالى فطوى له مسيرة شهر ، فما برق الفجر حتى أشرف علي مدينة مولاه ، قال : وشكر الله تعالى له هربه إليه من معصيته فنبأة فكان نبياً من أنبياء بنى إسرائيل .

ثم إعداد العدة لما يستقبل إذا كان ذلك من مريدى السعى للآخرة ، والشغل بالنفس والإقبال عليها دون الناس ، فقد وجب ذلك ، والزهد فى فضول الشهوات واجتناب كثير من الشبهات ، فقد افترُض ذلك وقلة الذكر للناس ولأمور الدنيا ، فقد حُسن ذلك ، ومنه غفلة وقسوة للقلب، وكثرة الذكر لله تعالى والتذكير به ، وذكر آلائه ونعمائه ، وحُسن الثناء عليه والمدح له ، وقد كان بعض العلماء يقول مَنْ جالسنا فليجتنب ذكر ثلاث خصال وليقض فيما يشاء يجتنب ذكر الناس فإنهم داء ، ويجتنب ذكر الدنيا فإنها قسوة ، ويجتنب كثرة الطعام فإنها شره وقال عالم آخر من جالسنا فلا يذكر إلا الله وحده ، فإن كان لابد من ذكر غيره فليذكر الآخرة ، وليذكر الصالحين وكان سهل رحمه الله تعالي ورضى عنه يقول : السُنة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأول السنة الزهد فى الدنيا ، لأنهم كانوا زاهدين .. وكذلك جاء الخبر فى وصف الفرقة الناجية : من كان على ما أنا عليه وأصحابى ..فقد كانوا على هذه الأوصاف التى ذكرناها فمن كان على ذلك فهو على السُنة فهذه فضائل السنة ، وهو مزيد الإيمان وحسن اليقين .

ذكر عرى الإيمان وجمل الشريعة

قال الله جلَ ثناؤه وصدقت أنباؤه **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتَّبعها** فالشريعة اسم من أسماء الطريق ، وهو اسم الطريق الواضح المستقيم الواسع ، وهو وصف لطريق جامع لجوامع المحاج كلها ، كأنه طريق يستوعب ويجمع سائر الطرق . وللطريق أسماء كثيرة ، منها الصراط المستقيم، والسبيل ، والمنهاج ، والمحجة ، والمنسك وجاء من اشتقاق هذا اللفظ أربعة أسماء شارع ومِشرَعة وشِرعه وشريعة ، وهو اسم لأوسعهما وأوعبها لجميع الطرق ، فالشريعة تشتمل على اثنتىعشرة خصلة هى جامعة لأوصاف الإيمان ، أول ذلك الشهادتان وهى الفطرة ، والصلوات الخمس وهى الملة،والزكاة وهى الطُهْرة ، والصيام .

وهو الجُنّة ، والحجّ وهو الكمال ، والجهاد هو النصر ، والأمر بالمعروف وهو الحُجّة ، والنهى عن المنكر وهو الوقاية ، والجماعة وهى الألفة ،والاستقامة وهى العِصمة ، وأكل الحلال وهو الورع ، والحب والبغض فى الله وهو الوثيقة ، قد روينا بعض هذه الخصال عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم . وقد جاء نحوها عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما .

ذكر شرط المسلم الذى يكون به مسلما

لا يكون المسلم معتقد البدعة ، ولا مقيمًا على كبيرة ، ولا آكل الحرام ، ولا طاعنا على صالح السلف ، ويكون كافّ اللسان واليد عن أعراض المسلمين وأموالهم ، ويكون ناصحًا لجميع المسلمين مشفقًا عليهم ، يسرّه ما يسرّهم ، ويسوءه ما يسوءهم ، لاسيما لأئمتهم ، داعيا لجملتهم، ويكون مخلصًا لأعماله كلها لله تعالى . وروى عن النبى صلّى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لا يسلم عبدٌ حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه . وروى عنه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله تعالى ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم الجماعة فإن دعْوتَهم تحيط من ورائهم ، ومن اجتمعت فيه هذه الخصال فى زماننا هذا فهو من أولياء الله عز وجل ، وهذا أول ولاية ، وأول نظرة من الله تعالى حامية عاصمة راحمة . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله : اكتُب إلىّ بسِيرة عمر رضى الله تعالى عنه فى الناس ، فإنى أحب أن أسير بها ، فكتب إليه : أما بعد ، فإنك لستَ فى زمان عمر ، ولا لك رجال كرجال عمر ، فإن عملت فى زمانك هذا ورجالك هؤلاء بسِيرة عمر ، فأنت خيرٌ من عمر رضى الله تعالى عنه .

ذكر حسن إسلام المرء وعلامات محبة الله تعالى له

من حُسن إسلام المرء أن يكون محبًا للخير وأهله ، مجانبًا للشر وأهله ، مسارعًا إلى ما نُدب إليه أو أمر به إذا قدر عليه ، حزينا على ما فات من ذلك إذا أعجزه ، تاركاً لما لا يعنيه من الأقوال والأفعال ، بريئًا من التكلف وهو اجتناب ما لم يؤمر به ولم يُندب إليه من ترك وفعل ، مصليًا للخمس فى جماعة إذا أمِن الفتنة وسَلِم له دينة ، مجتنبًا للغيبة ولذكر الناس ، يحب للكافة ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، مسارعًا إلى الخيرات ، مسابقاً إلى أعمال البرّ والقربات ، طويل الصمت ، لين الجانب ، ذليلاً للمؤمنين ، عزيزاً على المتكبّرين ، لا يمارى فى الباطل ، ولا يداهن فى الدين ، ولا يبغض على شئ من الحق وإن كان عليه ، أو من أبعد

الناس منه ، ولا يحب على شئ من الباطل وإن كان له أو من أقرب الناس إليه ، كارهًا للمدح ممن يحبه ، قائلاً للنصح ممن يبغضه ، يكون المدح والذّم يجريان من قلبه مجرى واحداً ، صدوقًا فيما يضره ، غير متصنع بما يستعجل نفعه ، سريرته أفضل من علانيته ، محتملاً لأذى الخلق ، صابراً على بلائهم ، منفرداً بحاله عنهم ، تاركًا لكثير من مجالسهم واجتماعهم ، خشية دخول الشبهات عليه ، وخوفًا من تغيّر قلبه له ، ومن اجتمعت فيه هذه الخصال فى زماننا هذا فهو من المريدين للآخرة ، وهذه ولاية ثانية ونظرة ثانية ، ويقال إن أبدال كل قرن على قدر زمانهم ، وفى كل قرن سابقون ومقرّبون .

وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى { لتركَبُنّ طبقا عن طبق } ، قال لتركبنّ في كل قرن فى طبقة من الناس على حال لم يكونوا عليه . وأكثر ما قيل فى القرن مائة سنة ، وأقل ما قيل فيه أربعون ، وأوسط ذلك وأعدَله وأشبهه بحمل الأحاديث والأخبار فيه أن القرن سبعون سنة ، وهو قول علىّ رضى الله عنه ، لأن رأس المائتين تمام ثلاثة قرون من المبعث ، ونحن الآن فى القرن السادس من أول سنة أربعين وثلاثمائة ، وآخره سنة عشر وأربعمائة ، ويقال إن الشمس تطلع من المغرب بعد القرن السابع وهو رأس الثمانين وأربعمائة . وعلى قول من قال القرن مائة سنة تطلع بعد سبعمائة سنة .

ذكر حق المسلم على المسلم

وهو وجوب حرمة الإسلام على المسلمين ، وذلك عشر خصال مجموعة من ستة أحاديث : حديث علىّ رضى الله عنه : للمسلم على المسلم ست خصال واجبة ، وحديث أبى أيوب الأنصارى: حق المسلم على المسلم ست خصال ، إنْ ترك منها شيئًا ترك حقًا واجبًا عليه ؛ وحديث البراء بن عازب : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ، ونهانا عن سبع ؛ وحديث ابن مسعود : للمسلم على المسلم أربع خلال واجبات ؛ وحديث سعد وأبى هريرة فى معنى ذلك ؛ وحديث أنس : أربعٌ من حق المسلم عليك - إلا أنه ذكر غير ذلك فاختلفت الألفاظ فى الخصال واتفقت المعانى . وذكر بعضهم فى حديثه ما لم يذكره الآخر ، فجمعنا اختلافهم وعدد جمل الخصال فكانت عشرة ، إلا ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه فإنه حديثٌ غريبٌ مؤكدٌ للخصال وزائدٌ عليها فى الألفاظ نذكره بعدها .

فأما الخصال العشر التى كثرت الأخبار بها فهى : أن يسلّم عليه إذا لقيه ، ويحييه إذا

دعاه ، ويُشمتة إذا غطس ، ويعودُه إذا مرض ، ويشهد جنازته إذا مات ، ويبرّ قسمه إذا أقسم عليه ، وينصح له إذا استنصحه ، ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه ، ويُحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه . فأماَ حديث أنس فروينا عن اسماعيل بن أبى زياد عن أبّان بن عيّاش عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعٌ من حق المسلم : أنْ تعين محُسنهم ، وأنْ تستغفر لُمذنبهم ، وأنْ تدعو لُمدبرهم ، وأنْ تُحب تائبهم . فهذه الخصال داخلة فى تلك الخصال وجامعة لها فى معنى النصيحة لأخيك ، وفى أن تحب له ما تحب لنفسك . وقد كان ابن عباس يؤكد هذا المعنى خاصةً للمسلم على المسلم ، ويفرضه فرض الحلال والحرام ، ويفسر به قول الله عز وجل { رحماء بينهم } يعني متوادين بينهم ، يدعو صالحهم لصالحهم إذا نظر الصالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : اللّهم بارك له فيما قَسَمْتَ له من الخير ، وثبّته عليه وانفعنا به ، وإذا نظر الصالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : اللّهم اهْده وتُب عليه واغفر له ، قال ابن عباس هذه الآية من حلالكم وحرامكم .

فهذه الخصال المذكورة جامعة مختصرة فى حُرمة المسلمين ووجوب حق بعضهم على بعض ، لا عذر لأحدٍ منهم فى تركها إلا مَن عذَرته السُنّة ويشهد له العلم ، وبعضها أوكد من بعض ، وأكمل المؤمنين إيمانا أقومهم بها وأسرعهم إليها ، قد كثرت بها الروايات ، وقد كان بعض السلف تركوا منها ثلاثة ـ إجابة الدعوة ، وعيادة المرضي ، وشهود الجنائز ، إلاّ أن هؤلاء اعتزلوا الناس أصلاً وكانوا أحلاس بيوتهم . وقال سهل ما أعلم شيئًا أشد من حقوق الناس . وكان يقول من كفّ أذاه عن الخلق مشى على الماء . وقال أبو يزيد وغيره بغية العقلاء السلامة من الله تعالى، ومن أراد السلامة من الله فليسلم الناس منه ، فمن أراد أنْ يسلم الناس منه فليَبعُد عنهم ولبعضهم فى معناه :

الناسُ بحرٌ عميق ... والبُعدُ منهم سلامة
وقد نصحتك فانظرْ ... لا تدركنك نَدَامه

وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتقوا الله واتقوا الناس . وعن ابن عباس مثلها لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة وهل يفسد الناس إلاّ الناس . وقال بعض السلف كلما كثُرت المعارف كثُرت الغرماء ، وكلما أطالت الصحبة توكّدَت الحقوق .

obeikandi.com

وقال بعض العلماء من عرف نفسه استراح ، ومن عرف الناس تعنّى ، وقد قيل فى معنى قوله **عليه الصلاة والسلام** مداراة الناس صدقة ، قال مداراتهم فى العلوم ومفارقتهم فى العقول ، وفى أحد الوجوه من قوله تعالى { **ادفع بالتى هى أحسن** } ، قال هى المداراة . وفى الخبر عن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** مَن أعطى حظه من الرِفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ، ومن مُنع حظه من الرفق مُنع حظه من الدنيا والآخرة .

ذكر سُننَ الجسد

وفى الجسد **اثنتا عشرة سُنة** ، وذلك مأخوذ من ثلاثة أحاديث متفرقة ، منها حديث **جبريل** عليه السلام حين استبطأه **النبى صلى الله عليه وسلم** بالوحى ، **خمس منها فى الرأس** وهى المضمضة والاستنشاق والسواك وقصّ الشارب وفَرْق شعر الرأس ، ومنها **سبع فى الجسد** وهى الخِتان والاستحداد وانتفاض الماء وهو الاستنجاء ونتف الربُط وتقليم الأظافر وغسل البراجم وتنظيف الرواجب ، فأمّا **البراجم** فهى معاطف ظهور الأنامل ، فلم تكن العرب تكثر غسل ذلك لتركها غسل أيديها عُقَيبْ الطعام ، فكان يجتمع فى تلك المكاسر الوَسخَ ، فأُمروا بغسلها ، قال **أبو هريرة** وغيره من **أهل الصُفّة** : كنا نأكل الشواء ، ثم تُقام الصلاة فنُدخِل أصابعنا فى الحصباء ، ثم نفركها فى التراب ونكبّر . وقال **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه : ماكنّا نعرف الاثنان على عهد **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، وإنما كانت مناديلنا بواطن أرجلنا . وكنا إذا أكلنا الغَمْر مسحنا بها . ويقال أول ما ظهر من البدع بعد **رسول الله صلى الله عليه وسلم** أربع : المناخل ، والأشنان ، والموائد ، والشِبَع . فهذه كلها فى شأن الجَوْف ، وهو شَر وعاء مُجَوّف . وأما الرواجب فهى جمع راجبة وهى واحدة الأنامل . ولم تكن العرب يتفق لها الغلمان فى وقت فيقصون أظافرهم ، فوقّت لهم **رسول الله صلى الله عليه وسلم** لقص الأظافر ، ونتفى الإبط ، وحلق العانة ، أربعين يوما ، إلا أنه أمر بتنظيف ما تحت الأظافر لأنه مجمع النَفْث ، وهى الرواجب إلى أن يقصوا أظافرهم . وجاء فى الأثر أن **النبى صلى الله عليه وسلم** استبطأ الوحى ، فلّما هبط **جبريل عليه السلام** قال له : كيف ننزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ، ولا تنظفون رواجبكم وقُلحاً لا تستاكون . مُرْ أمّتك بذلك . ويقال لما تحت الأظافر من الوَسَخ الأفّ ، وهو الذى يقال أفّ وتفّ ، فالأفّ وسَخ الظفر ، والتُفّ وسخ الأذن . وقيل بل التُفّ كلمة اتّباع للمبالغة فى التأذّى بالقذر المؤذى . ومن ذلك قولهم فى الاتباع جائعٌ

obeikandi.com

نائع، وعطشان نطشان. وقيل من هذا قول الله تعالى **فلا تقل لهما أفٍّ** أى لا تُعِبْها بما تحت الظُفر من الوسخ. وقيل لا تؤذهما تأذّيك بما تحت ظُفرك من الأذى، أو لا تؤذهما بمقدار ذلك.

ذكر ما فى اللحية من المعاصى والبدع المحدثة

اللحية من تمام خَلْقِ الرجل، وبها تَميّز الرجال من النساء فى ظاهر الخلْق. وفى وصف **رسول الله صلى الله عليه وسلّم** أنه كان كثّ اللحية، وكذلك كان **أبو بكر**، وكان **عثمان** طويل اللحية دقيقها. وكان **علّى** رضى الله تعالى عنه عريض اللحية، قد ملأت ما بين منكبيْه. ويقال إن أهل الجنة مُرْد إلا **هرون أخا موسى** عليهما السلام، فإن له لحية إلى صدره، تخصيصاً له وتفضيلا. وقد روينا من غريب قوله تعالى **يزيد فى الخلق ما يشاء**، قال اللِحَى، وفيه وجوه كثيرة. وذُكِر عن **شريح القاضى** قال ودِدتُ لو أن لى لحية بعشرة آلاف. وقال بعض الأدباء فى اللحية **خصال نافعة**، منها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار، ومنها رفعه فى المجالس والإقبال عليه، ومنها تقديمه على الجماعة وتعقيله. وقال **أبو يوسف القاضى** مَن عظُمت لحيته جلّت معرفته.

وفى اللحية من خفايا الهوى ودقائق آفات النفوس ومن البدع المحدَثة **اثنتا عشرة خصلة** بعضها أعظم من بعض، وكلها مكروهة. وقد كنا أجملنا ذلك عدداً فى باب آفات النفوس، فأمّا تفسيره فإنّ من ذلك خضِابها بالسواد لأجل الهوى، وتدليس الشيبة وخضابها بالحُمْرة والصفْرة من غير نيّة تشبّهاً بالصالحين والقرّاء من السنّة، وتبييضها بالكبريت وغيره استعجالاً لإظهار علو السن وستر الحداثة لأجل الرياسة والتعظيم، ليشهد عند الحكام، أو لينفق بذلك حديثه، ويدّعى بالسِن مشاهدة من لم يره، فَعل ذلك بعض المحدثين وبعض الشهود، ومِنْ ذلك نتفها أو نتف الشيْب منها تغطية للتكهّل، ومنها تقصيصها طاقةً على طاقة للتزيّن والتصنّع؛ ومن ذلك النقصان منها والزيادة فيها، وهو أنْ يزيد فى شعر العارضيْن من الصدغ من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللَحْى وذلك هو حد اللِّحية، أو يُنقص من العظمين إلى نصف الخدّ وذلك مُثْلة وهو نقصان من اللحية، ومن ذلك تسريحها لأجل الناس تصنّعاً، أو تركها لأجل الناس شَعِثَة مُفَتّلة مُغَبّرة ، إظهاراً للزهد ، أو التهاون بالقيام على النفس لأنه قد عُرِف بذلك؛ ومن ذلك النظر إلى سوادها عُجباً بها وخُيلاً وغِرةً بالشباب وفخرا؛ ومن ذلك النظر إلى بياضها تكبراً بِكِبَر السن، وتطاولاً على الشبان ، فيحجبه نظره إليها عن النظر

Osolikandiyi.com

إلى نفسه من تعلّم العلم، وتعلّم القرآن الذى لا يسعه جهله، والسؤال عما يجهله استصغاراً لغيره من الشباب، أو حياءً من شيبه أو استنكافاً منه، فيظن بجهله أنّ كثرة الأيام التى بيّضت شعر لحيته أعطته فضلاً أو جعلت فيه علماً، ولا يعلم أنّ العقل غرائز فى القلوب، وأن العلم مواهب من علاّم الغيوب. ومن كانت غريزته الحُمق وطبيعته الجهل كثُرت حماقته كلما كبُر، وعظمت جهالته إذا أسنّ. وقد رأينا جميع ذلك فى كثير من الناس وهذا كله مُحدَث، وهو يضاهى سُنَن الجسد الاثنتى عشرة فى العدد.

ومما جاء فى جُمَل معانى ماذكرناه من الكراهة أنّ **رسول الله صلّى عليه وسلم** قال: حُفّوا الشوارب، واعفوا اللِحىَ .. فقوله حفوا أى اجعلوها حفافى الشفة أى حولها، لأن حفاف الشىء حوله. ومن ذلك قوله عز وجل "**وترى الملائكة حافّين من حول العرش**". وكان بعض العلماء يكره حلق الشارب حتى تظهر البشرة ويراه بدعة. وقد كان **مالك بن أنس** وبعض علماء المدينة يقولون حلْق الشارب مُثْلة، إنما هو الأخذ منه حتى يبدُ الإطار، والإطار حروف الشفَة من فوق. وفى الحديث لفظة أخرى أحفوا الشوارب"، والإحفاء هو الاستئصال والاستقصاء. وهو أبلغ من قوله حفّوا. ومن هذا قوله عز وجل " **إنْ يسألكمُوها فيحفكم تبخلوا**"، أى يستقصى عليكم. وقد كان كثير من أصحاب رسول الله صلّى عليه وسلم يُحفى شاربه. ونظر بعض التابعين إلى رجل أحفَى شاربه فقال ذكّرتنى أصحاب رسول الله صلّى عليه وسلم، قال فقلت هكذا كانوا يحفون شواربهم؟ فقال نعم، وأشد من هذا كالحلق، وليس الإحفاء إلاّ شبيه به. وقد رُوينا فى هذا الحديث ثلاثة ألفاظ أخر وهو **خذوا** من الشوارب فإن رسول الله صلّى عليه وسلم كان يأخذ من شاربه. ورُوى **قصّوا** الشوارب، **وجزّوا** الشوارب، فهذه الثلاثة بمعنى واحد وهو يقتضى **أخذ بعضه وترك البعض، ليست كالإحفاء** .

وقال المغيرة بن شعبة نظر إلىّ **رسول الله صلّى عليه وسلم** وقد عفا شاربى فقال تعال فقصّهُ لى على سِواك. فهذا نصٌ من فعْله فى أخذ الشارب. وقد رُويت لفظة غريبة طُرّوا الشوارب طرّاً. **والطرّ** أنْ يؤخذ من فوق الشارب ومن تحته حتى يستدق. والطَرّ الدقيق المستطيل المستخرج من شىء أكثر منه حتى يُحمَل على وصفٍ دونه أو أصغر منه، ومن هذا سميت الطُرّة كأنها مستخرجة من شىء كثير، مجعولة على وصفٍ لطيف. وكان بعض السلف يترك سِباليْه ، وهما طرفا الشارب، ويحفى وسط شاربه. ورُوى هذا عن **عمر** وغيره. وكذلك

رأيت **أبا الحسن بن سالم** رحمه الله تعالى يفعله.

فأمّا قوله واعفوا اللحى يعنى كثّروها ومن هذا قول اللهّ عز وجل **«حتى عَفَوْا»**، أى كثروا. وفى الخبر أن **اليهود** يعفون شواربهم ويقُصّون لحاهم فخالفوهم.وردّ **عمر بن الخطاب وابن أبى ليلى** قاضى المدينة شهادة رجل كان ينتف لحيته. ونَتْفُ الفَنْيكين بدعة، وهما جنبتا العَنْفقة. وشهد رجل عند **عمر بن عبد العزيز** بشهادة وكان ينتف فينكيْه فردّ شهادته. وورد عن **رسول الله صلّى عليه وسلم** النهى عن نتف الشيْب، وقال «هو نور المؤمن»، ونهى عليه السلام عن الخِضَاب بالسواد، قال «هو خضاب أهل النار»، وفى لفظ آخر «الخِضَاب بالسواد خضاب الكُفّار» ، وأمر رسول اللّه صلّى عليه وسلم **أبا بكر** أنْ يغيّر شيب أبيه وقال جنّبه السواد، وقال «هو خضاب أهل النار» . وتزوج رجل على عهد **عمر** رضى الله عنه، وكان يخضّب بالسواد ، فنَصَل خضابه وظهرت شيْبته، فرفعه أهل المرأة إلى عمر فردّ نكاحه وأوجعه ضربا، وقال غرّرت القوم بالشباب ودلّست عليهم شيبتك. وقال **رسول الله صلّى عليه وسلم** «الصُفرة خضاب المسلمين، والحُمرة خضاب المؤمنين» . وكانوا يخضبون بالحناء للحُمرة ، وبالخَلُوق والكَتَم للصُفرة . ويقالُ أوّل من خضّب بالسواد **فرعون** لعنه اللّه. وقال **سعيد بن جبير** عن **ابن عباس** عن **النبّى صلىّ الله عليه وسلم** يكون فى آخر الزمان قومٌ يُخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة ... وكان **ابن عمر** يقول للحلاّق أبلغ العظمين فإنهما منتهى اللّحيْة ، يعنى حدّها ، ولذلك سميت لحية لأن حدها **اللّحْى**، فالزيادة على ذلك الحدّ والنقصان منه مُحدَث.

ذكر ماجاء فى فعل بعض ذلك واستحبابه

من العلماء من كان يأخذ من لحيته فى المناسك وغيرها، وإنْ قَبَضَ الرجل على لحيته وأخذ ماتحت القَبْضة فلا بأس ، وقد فعله **ابن عمر** وجماعة من التابعين واستحسنه **الشعبى وابن سيرين**، وكرهه الحسن وقتاده ، وتركُها عافيةٌ على خِلْقتها أَحَبُّ إلىّ ، وقد كان رسولالله صلّى عليه وسلم، ثم الصالحون بعده ، يسرّحون لحاهم لأجل الدين والسُنّة، وتنظيفاً للطهارة ونزع التَفَث من القَمْل وغيره، ولإسقاط شعرٍ ميت إنْ كان هناك. وقد كان من الزهاد من يترك لحيته مُتفتّلة لا يسرّحها شُغلاً عن نفسه. والصدق بعينه حسن، والصدق فى كل شىء حسن. قال بعضهم رأيت **داود الطائى** منفتل اللحية ، فقلت يا أبا سليمان لو

سرّحت لحيتك، فقال إني إذاً لفارغ. إلا أنّ رسول صلى الله عليه وسلم كان يدهن شعره ويُرجِّله غِبّاً وأمر بذلك فقال «وادهنوا غبّا» . وقال ، «من كانت له شعرة فليكرمها» ، ودخل رجلٍ ثائر الرأس أشعث اللحية فقال «أمَا كان لهذا دِهْن يُسْكِن به شعره» ، ثم قال «يدْخُلُ أحدكم كأنه شيطان» . وقد روينا فى خبر غريب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرّح لحيته فى كل يوم مرتين، وفى خبر أغرب منه قالت **عائشة** رضى الله تعالى عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج عليهم ، فرأيته يَطّلع فى الحُبّ لِيُسَوِّى من رأسه ولحيته. وفى الخبر المشهور أنه كان يمشّط لحيته فى كل يوم، وأنّ المِشْط والمِدْرَى لم يكن يفارقه فى سفر ولا حضر. فهذه سنّة العرب المعروفة فيهم ، وكان عليه الصلاة والسلام عليها، وكانت من أخلاقه.

وقد كان الشباب يتشبّهون بالكهول تفضيلاً للكهول غير عُجْب بالشباب، ولا فخر بالحداثة. وفى الخبر خير شبابكم من تشبّه بشيوخكم، وشر شيوخكم من تشبّه بشبابكم. وفى الحديث أنّ من إجلال الله تعالى إجلال ذى الشيبة المسلم. وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب ويرون فضلهم بالعلم والدين تواضعاً وإخباتاً لا تكبرًا ولا غلواً . وكان **عمر** رضى الله تعالى عنه يقدّم **ابن عباس** وهو حدَث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم. وروى عن **ابن عباس** وغيره ما آتى الله تعالى عبداً العلم قط إلا شابا، والخير كله فى الشباب، ثم تلا قوله تعالى «**قالوا سمعنا فتى يذكُرهم يقال له إبراهيم**» ، وتلا قوله سبحانه «**إنهم فتية آمنوا بربهم**» ، وقوله تعالى «**وآتيناه الحكم صبيا**»، وقد كان **أنس بن مالك** إذا ذُكِر **رسول الله صلى الله عليه وسلم** قال قُبض وليس فى شعر رأسه وشعر لحيته عشرون شعرة بيضاء، فقيل ولِمَ يا أبا حمزة وقد أسنّ ، قال لم يُشنه الله تعالى بالشيْب، قيل أوشينٌ هو، قال كلكم يكرهه. ويقال إن **يحيى بن أكتم** وَلِيَ القضاء وسنُه إحدى وعشرون سنة، فقال له رجل ذات يوم وهو فى مجلسه يريد أن يحشمه بذلك : كم سن القاضى أيّده الله تعالى ؟ فقال مثل سن **بن أسَيْد** حيث ولاّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقَضاءها، فأفحمه. وروينا عن **مالك بن معول** قال قرأت فى بعض كتب الله عز وجل لا تغرنّكم اللحى فإن التَيْس له لحية. وقال بعض الأدباء كلما طالت اللحية تشمّر العقل. وقال **أبو عمرو بن العلاء** إذا رأيته طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحُمق ولو كان **أمية بن عبد شمس**. وقال **معاوية** رحمه الله تعالى يتبين حُمق الرجل من طول قامته، وعِظَم لحيته

وفى كُنيته، ونَقْش خاتمه. وكان **إبراهيم النخعى** ومثله من السلف يقول عجبت لرجل عاقل طويل اللّحية كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين، فإنّ التوسط فى كل شيء حَسَن. وأُنشدت لبعض الظرفاء:

لا تعجبن بلحية ❊ كبرت منابتها طويله
يهوى بها عصف الريا ❊ ح كأنها ذنب الحسيله
قد يدرك الشرف الفتى ❊ يوما ولحيته قليله

وأنشد لبعض العرب:

لعمرك ما الفتيان أن تنبتَ اللحى ❊ ولكنما الفتيان كل فتى ندى

ولم يكن الأشياخ يستنكفون أن يتعلموا من الشباب ماجهلوا، ولا يزرون عليهم لصغر سنهم، إذ الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشاء ، لا مانع لما أعطى اللّه من صبيٍ أو غيره، ولا مُعطِي لما منع اللّه من كبيرٍ أو غيره. وقال **أبو أيوب السختيانى** إنى أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه، فيقال له تتعلم من هذا ، فيقول نعم أنا عبده مادمت أتعلم منه. وقال **علىّ بن الحسن** مَن سبق إليه العلم فهو إمامُك فيه وإنْ كان أصغر سناً منك. وقيل **لأبى عمرو بن العلاء** أيحسُن للشيخ الكبير أن يتعلم من الصغير، فقال إنْ كانت الحياة تحَسُن به فإنّ التعلم يَحسُن به، فإنه يحتاج إلى العلم مادام حيا. وقال **يحيى بن معين لأحمد بن حنبل** وقد رآه يمشى خلف بغلة **الشافعى** رضى اللّه تعالى عنه، يا أبا عبد اللّه تترك حديث سفيان بِعُلوٍ وتمشى خلْف بغلة هذا الفتى وتسمع منه، فقال أحمد لو عرفت منه ما أعرف لكنتَ تمشى من الجانب الآخر، إنّ عِلْم سفيان إنْ فاتنى بعلو أدركته بنزول. وإنّ عقل هذا الشاب إنْ فاتنى لم أدركه بعلو ولا نزول. وسمعت **أبا بكر بن الجلاّء** يقول إنى لأرى الصبى يعمل الشيء فاستحسنه فاقتدى به فيكون إمامى فيه، وما رأيت أشد تواضعا منه على علمه وزهده.فأمّا معنىَ الخبر الذى روى لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم، فإذا أتاهم عن أصاغرهم هلكوا ، فإنّ **ابن المبارك** سُئل عن معنى ذلك فقال أصاغرهم أهل البدع لأنه لا صغير من أهل السنّة ممن عنده علم، ثم قال كم من صغير السن حَمَلْنا عنه كبير علْم. وقد قيل إنّ قوله عن أكابرهم يعنى أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فهذا مواطيء للخبر الآخر لا تزال أمتى بخير مادام فيهم من رآنى، ولَيأتّين عليهم

زمان يُطلَب فى أقطار الأرض فلا يوجد أحد رآنى. كيف وقد جاءت بذلك لفظة ذكرتها لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وعن أكابرهم، فإذا أتاهم عن أصاغرهم استعصى الكبير على الصغير فهلكوا، أى فذلك خشية أنْ لا يتعلم منه لما ذكرنا من الحياء والتكبّر والاستنكاف. ووجه آخر هذا مجازه عندى على الخبر لا على الذم، لأنه قد جاء فى الأثر وصف هذه الأمة فى أوّل الزمان يتعلم صغارها من كبارها، فإذا كان آخر الزمان تعلّم كبارهم من صغارهم، فإذا كان كذلك فهذا تفضيل الأصاغر وتشريف هذه الأمة على سالف الأمم، لأنهم لم يكونوا يحملون العلم إلاّ عن القسيسين والرُهبان والأشياخ العبّاد والزُهّاد. وأخبر أن هذه الأمة فى آخر الزمان تفضل سالف الأمم فى أول أزمنتهم، بأنْ يتعلم الكبير من الصغير كما فضّلهم اللّه تعالى به. فذلك أشد وطأً للخبر الآخر أمتى كالمطر لا يدرى أوّله خير أم آخره. ولمثله من الشاهد كيف تهلك أمةٌ أنا فى أولها والمسيح ابن مريم صلّى اللّه عليه وسلم فى آخرها. وقد روينا فى الخبر لا تحقّروا عبدا آتاه اللّه تعالى علماً فإن اللّه تعالى لم يحقّره أنْ جعل العلم عنده. وكان **شُعبة** يقول مَن كتبتُ عنه حديثا أو تعلمتُ منه علما فأنا عبده. وقال مرة إذا كتبت عن الرجل سبعة أحاديث فقد استرقّنى. فأمّا الخِضاب بالسواد فقد يُروى أن بعض العلماء ممن كان يقاتل فى سبيل اللّه تعالى كان يخضب بالسواد، ولكن لم يكن هذا يخضب به لأجل الهوى وتدليس الشيْب، إنما كان يعد هذا من إعداد القوة من العدة لأعداء اللّه تعالى، بمعنى قول اللّه عز وجل «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**»، وإظهار الشباب من القوة، وقد رمل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم واضطجع هو أصحابه ليراهم الكفّار فيعلموا أن فيهم جلَدا وقوة، ومن صنع شيأً بنيّة خالصة صالحة يريد بذلك وجه اللّه تعالى، وكان عالماً بمذهب له ذهب إليه فهو فاضل فى علمه وفعله، وإنْ كان ذلك من أدْون أعماله لم يتبّع أنْ يُستّن به فيه، لأنا روينا عن **رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم** مِن شرّ الناس منزلةً من يقتدى بسيئة المؤمن ويترك حسنته، فأخبر أنّ للمؤمن سيئة، وأن من شرّ الناس من تأسّى بها معذرةً لنفسه فى هواها.

باب ما ذكر من نوافل الركوع وما يكره من النقصان منه

قال اللّه سبحانه وتعالى «**ومن الليل فسبّحه وإدبار النجوم**»، وروينا عن **علّى** رضى اللّه تعالى عنه أنه فسرّه قال ركعتا الفجر. وكذلك فسرّ قوله تعالى «**ومن الليل فسبّحه**

وإدبار السجود ، قال ركعتا المغرب. وهذا على قراءة من كَسَر الألف، فأمّا من نصبها فإن معناه أدبار الصلوات أى أعقابها وأواخرها . والتسبيح اسم الصلاة النافلة لكون التسبيح فيها، وتسمّى النافلة سُبْحة، فمن سُنَن الركوع واستحبابه أدبار الصلوات وقبلها الذى لا استحبُّ ترك شىء منه، وبعضه أوكد من بعض، **سبع عشرة** ركعة مجموع من خمسة أحاديث : حديث **على** رضى الله تعالى عنه أنه سُئل عن صلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالنهار فقال **ست عشرة** ركعة، وحديث **ابن عمر** حفظتُ من رسول الله صلى الله عليه **عشر** ركعات، وحديث **أبى أيوب الأنصارى** فى الصلاة قبل الظهر، وحديث **أنس بن مالك وعائشة** فى الصلاة بعد العشاء الآخرة وفى الوتر، وخبر **أم حبيبة** الوارد بالفضل من العدد مَن صلّى فى يوم **إثنتى عشرة** ركعة غير المكتوبة بنى الله تعالى له بيتاً فى الجنة، وخبر غريب رواه أهل البيت مواطىء لبعض ما ذكرناه أنّ الله تعالى فرض عليكم فى اليوم والليلة **سبع عشرة** ركعة، وسننتُ لكم مثلَها، أول ذلك **ركعتا** الفجر وهما سنّة مؤكدة، **وأربع** قبل الظهر وهنّ مستحباتٌ مؤثَرةٌ فى الاستحباب، **وركعتان** بعدها وهما سنة، **وأربع** قبل العصر ، رجاء أن يدخل فى دعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، **وركعتان** بعد المغرب وهما سنّة مؤكدة، **وثلاث** ركعات الوِتْر مؤكدة. فأما حديث **على** رضى الله عنه فإنه ذَكر من صلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلم شيأ لم يذكره غيره، أنّه صلّى الله عليه وسلم كان يصلى الضحَى **ست** ركعات فى وقتين – إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام فصلّى ركعتين، وهذا هو الإشراق وهو الورد الثانى من النهار، وإذا انبسطت الشمس وكانت فى رُبْع السماء من المشرق، ومثلها حين تكون فى ثلاثة أرباع السماء من صلاة العصر صلّى **أربعا**، وهذا هو الضحى الأعلى والورد الثالث من النهار. والمواظبة على هذه الصلاة بمراعاة هذين الوقتين مَن عزائم الأعمال وفواضلها . وذكرتْ **أم هانئ** أخت **على** رضى الله عنه أنه صلّى الضحى **ثمانى** ركعات أطالهن وحَسّنهن ، ولم ينقل هذا العدد غيرها . وأما **عائشة** رضى الله تعالى عنها فإنها ذكرت أنه صلّى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى **أربعا** ويزيد ماشاء الله فلم تحُد. وقد روينا فى حديث منفرد أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلّى الضحى **ست** ركعات. وقد روى **أبو أيوب الأنصارى** عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم شيأ تفردّ به أنه لم يكن يدع أنْ يصلى **أربعا** بعد الزوال وقبل صلاة الظهر، يقرأ فيهن بمقدار سورة البقرة، قال فسألته عن هذه الصلاة، فقال إنّ أبواب السماء تُفتح هذه الساعة ويُستجاب الدعاء، فأنا

أحب أنْ يُرفَع لى فيها عمل صالح. وقد جاء فى حديث **أم حبيبة** زوج النبى صلّى اللّه عليه وسلم مفسّراً مَن صلّى فى يومٍ اثنتى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى اللّه له بيتا فى الجنة، ركعتين قبل الفجر، وأربعا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين قبل العصر، وركعتين بعد المغرب. ورواه **ابن عمر** فى حديثه: حفظتُ من رسول اللّه صلى عليه وسلم فى كل يوم عشر ركعات ... فذكرها، إلاّ قوله وركعتين قبل الفجر فإنه قال تلك الساعة لم تكن ندخل فيها على رسول اللّه صلى عليه وسلم، ولكن حدثتنى أختى **حفصة** أنه كان يصلى ركعتين فى بيتها ثم يخرج. وقال فى حديثه ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد العشاء. وقالت **عائشة** كان رسول اللّه صلى عليه وسلم يصلى بعد العشاء الأخيرة أربع ركعات ثم ينام. وقال **أنس بن مالك** كان رسول اللّه صلى عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات، يقرأ فى الأولى **سبّح اسم ربك الأعلى**، وفى الثانية **قل يا أيها الكافرون**، وفى الثالثة **قل هو اللّه أحد**. وقد جاء فى خبر أنه كان يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا، وفى بعضها متربعا، وفى بعض الخبر إذا أراد أن يدخل فى فراشه زحف إليه وصلّى فوقه ركعتين قبل أن يرقد، يقرأ فيهما **إذا زلزلت الأرض** وسورة **ألهاكم التكاثر**، وفى رواية أخرى **وقل يا أيها الكافرون**. فإنْ أضْعفَ العبد هذه السبع عشرة ركعة فجعلها أربعا وثلاثين يداوم عليها ويجعلها وِرده من الصلاة فهو أفضل، وهذا مذهب أهل البيت، واحتّجوا فيه بخبر رووه عن **رسول اللّه صلى عليه وسلم** أنه قال – فرض اللّه تعالى على أمّتى فى اليوم والليلة سبع عشرة ركعة، وسننتُ لهم مثلهما – وإنْ كان الحفّاظ من أهل النقل يضعّفون هذا الحديث إلا أنه قال عليه الصلاة والسلام – الصلاة خير موضوع، فمن شاء أكثر، ومن شاء أقل. وقال بين كل أذان وإقامة صلاةٌ لمن شاء. فإن فعل ذلك وراعاها على ما يرتبه فهو مقارب لماذكرناه آنفا من السنن . والاستحباب قبل الصلوات الخمس وبعدها **ركعتان** قبل الفجر، **وأربع** من الضحى، **وأربع** قبل الظهر، وأربع بعدها، **وأربع** قبل العصر، **وست** بعد المغرب، **وأربع** قبل العشاء ، **وست** بعدها، ثم يوتر بواحدة. فهذا حينئذ نحو ما رسمناه وهو مُشْبِهٌ لما نقلنا من الآثار، وليستند إلى الخبر المأثور وإلى فعل أهل البيت. وأكثر ماروى من صلاته بين العشاءين مما نقل عدده **ست** ركعات. وأكثر ما روى من صلاة الضحى **ثمانى** ركعات. ومن صلاته بالليل **ثلاث عشرة** ركعة، إلاّ حديثا مقطوعا موقوفا على **طاوس** رواه **ابن المبارك** أنّ رسول اللّه صلى عليه وسلم كان يصلى من الليل **سبع عشرة** ركعة فهو حديث شاذ ، وسائر الأخبار المسْندة عن **ابن عباس**

وعائشة وميمونة وأم حبيبة إنما هى إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة. وأستحبُ أنْ يصلى العبد قبل كل صلاة أربعا وبعدها أربعا، إلاّ مالا صلاة قبلها ولا صلاة بعدها، ثم يزيد بعد ذلك ما قسم اللّه تعالى له، وأنْ يصلى الضحى ثمانى ركعات ويواظب عليهن، إذا أنشط أطالهن، وإذا أفتر قصّرهن، فإنّ المداومة على العمل عملٌ ثان وهو من أفضل الأعمال وأحبّه إلى اللّه تعالى، وإلاّ اقتصر على أربع يديمهن. ولا أكره أن يصلى قبل المغرب ركعتين بعد غروب الشمس ، فقد قال أنس بن مالك كان اللُباب من أصحاب رسول اللّه صلى عليه وسلم يصلّون ركعتين قبل المغرب، وكان أبىّ بن كعب وعبادة بن الصامت وأبو ذر وزيد بن ثابت وغيرهم من أكابر أصحاب رسول اللّه صلى عليه وسلم يصلونها. وقال عبادة أو غيره كان المؤذن إذا أذنّ لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول اللّه صلى عليه وسلم السوارى يصلّون ركعتين. وقال أيضا بعضهم كنا نصلّى ركعتين قبل المغرب، وذاك داخل فى عموم قوله صلى اللّه عليه وسلم بين كل أذانين صلاة لمن شاء، وقد كان أحمد بن حنبل رحمه اللّه تعالى يصليهما فعابهما الناس عليه، وقال مرة لم أر الناس يصلونهما فتركتهما، وقال إنْ صلاّهما الرجل فى بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ، وذلك أستحب.

الفصل السادس والثلاثون

فى شرح الكبائر التى تحبط الأعمال وتوبق العمال وتفصيل ذلك ومنازل أهلها فيها ومسئلة محاسبة الكفار

قال اللّه تعالى« إنْ تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيأتكم»، فاشترط لتكفير الصغائر من السيأت اجتناب الكبائر الموبقات. وقال صلى اللّه عليه وسلم الصوات الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفّر ما بينهن لمن اجتنب الكبائر، وفى لفظ آخر كفّارات لما بينهن إلاّ الكبائر، فاستثنى من كفّارات الذنوب الكبائر، فاختلف العلماء من الصحابة والتابعين فى الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك، فكان ابن مسعود يقول هن أربع، وكان ابن عمر يقول الكبائر سبع، وقال عبد اللّه بن عمرو هن تسع، وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر أنّ الكبائر سبع يقول هى إلى سبعين أقرب منها إلى سبع، وقال مرة كل ما نهى اللّه تعالى عنه فهو من الكبائر، وقال هو وغيره كل ماتوَعّد اللّه تعالى عليه بالنار فهو من الكبائر، وقال بعض السلف كل ما أوجب الحدّ فى

obeikandl.com